كلمة واجبة

آثر الفنان الكويتي الكبير يوسف المهنا أن يكرم روح الشاعر الأديب صالح جودت في ذكراه الثامنة والعشرين حيث رحل عن الحياة في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ بأن قدم بادرتين طيبتين وهما :

تلحين وغناء قصيدة عاطفية له والثانية تحمل نفقات طباعة هذا الكتاب الجديد الذي لم يسبق نشره للأديب الراحل والذي يضم مجموعة من أجمل مقالاته وصوره القصصية الرائعة.

وهي تحية حب وتقدير وإكبار لروح الشاعر الكبير علها تسعد روحه وهي في رحاب الله بهذا المولود الجديد للشاعر بعد رحيله.

مقدمة

متى ينصفون صالح جودت؟

للشاعر الكبير : فاروق شوشة

هذا شاعر لا يكاد يذكره الآن أحد بالرغم من أنه كان يملأ الدنيا ويشغل الناس بقلمه وبكتاباته وبمعاركه منذ بزوغ اسمه في حياتنا الأدبية والصحفية، في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين عندما أصدر ديوانه الأول "ديوان صالح جودت" عام ١٩٣٤ وحتى رحيله في عام ١٩٧٦ بعد أن أصدر آخر دواوينه "الله والنيل والحب"، بعام واحد عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كان ومعه كوكبة من شعراء الثلاثينيات يعبرون عن ثورة تجديدية على شعر المدرسة الكلاسيكية المحافظة – التي كان من أقطابها شوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري وغيرهم. وسميت حركة هؤلاء الشباب باسم جماعة "أبوللو" أو التيار الرومانسي الذي اجتاح الحياة الأدبية المصرية والعربية وكان بمثابة التهيئة الطبيعية لظهور حركة الشعر الجديد في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

كان صالح جودت ومعه أقطاب التيار الرومانسي: "إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمد عبدالمعطي الهمشري ومحمود حسن إسماعيل وأحمد رامي ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي وغيرهم يهيئون الأرض – بنماذجهم الشعرية المبكرة – لمذاق شعري جديد – غير مألوف ولغة شعرية تلتمع في ثنايا معجم شعري يصف المحسوسات بصفات المعنويات والمعنويات بصفات المحسوسات ويطلق الخيال المحلق إلى تخوم

(*) فاروق شوشة : شاعر وناقد وإعلامي بارز. ولد في قرية الشعراء بمدينة دمياط (١٩٣٦)، تخرج في كلية دار العلوم (١٩٥٨) له العديد من دواوين الشعر والدراسات الأدبية واللغوية.

شديدة البعد، لغة تتميز بالأناقة المترفة والصياغة المفعمة بالهمس والإيحاء والتأثر بأشعار الرومانسيين الإنجليز والفرنسيين، من أمثال كيتس وشيلي ووردزورث وبيرون ولامارتين والفرد دي موسيه والفرد دي فيني. وكان صالح جودت من بينهم جميعًا أقرب إلى الروح المصرية والمزاج المصري في أسلوب التعبير عن العواطف والمشاعر، واقتناص الكلمات المصرية ذات الدلالة المحلية الطابع، مما يذكرنا بشاعر مصري قديم فتن به صالح جودت وكان دائم الإشارة إليه وذكره هو "البهاء زهير" تميز شعره بدرجة عالية من هذه الروح المصرية والطابع المصري في الصياغة والتعبير.

الغريب أن صالح جودت كان على وعي بهذا الدور الشعري الذي قامت به الحركة الرومانسية. وفي حديثه عن صحبته لناجي وعلى محمود طه والهمشري في سنوات الصبا الباكر .. إشارة إلى التكوينات الأولى، والنزعة الشعرية المشتركة، والأفق المغاير الذي يتطلع إليه الأربعة .. يقول صالح جودت في المقدمة التي كتبها لديوان ناجي الذي صدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام ١٩٦١ "في المنصورة: عرفت ناجي، إذ كنت طالبًا بالمدرسة الثانوية، وكان لي زميل أثير هو الشاعر محمد الهمشري كان موهوبًا مرموقًا، لولا أن عاجلته النهاية وهو في أوج شبابه.

"كنا نخرج هو وأنا من المدرسة فنلتقي بشاعرين يكبراننا، وكان المستقبل يتهيأ لهما يومئذ هما المرحومان إبراهيم ناجي الطبيب وعلى محمود طه المهندس. فكنا نجلس نحن الأربعة على شاطئ النيل، نقضي أجمل ليالي العمر في حديث الأدب والشعر.

كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر، تتقارب خطوطها كل التقارب إلى حد أن اختلط شعرنا على الناس في كثير من الأحيان فنسب إلى غير صاحبه، وإلى حد أن أحدًا منا نحن الأربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الأستاذ فقد كان كل منا يفيد من صحبة الآخرين.

وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الشباب في الأدب الإنجليزي، هم شيلي وكيتس ووردزورث، نقرؤهم دائمًا، ونحس بما بيننا وبينهم من أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم".

لكن المستقبل الأدبي بعد هذه السنوات التي يتحدث عنها صالح جودت وهي سنوات الدراسة الثانوية في المنصورة بين عامي ١٩٢٧، ١٩٣١ – التي جاءها من الزقازيق حيث كان مولده، هذا المستقبل قد م بتوزيع الحظوظ الأدبية على الأربعة فيما يشبه القسمة العادلة طبقًا لموهبة كل منهم وإخلاصه للشعر، فليس صدفة أن تقدم ناجي وعلي محمود طه، وجاء من بعدهما الهمشري وصالح جودت في ميزان الشعر الحقيقي. والتهمت الحياة الصاخبة الممتلئة التي عاشها صالح جودت كثيرًا من طاقته الإبداعية ومن تفرغه للشعر، كما التهمت معاركه الأدبية والصحفية والسياسية كثيرًا مما تبقى من هذه الطاقة، وحين مشى في طريق صديقه الأثير أحمد رامي وبدأ يتجه إلى كتابة الأغنية، خاصة للعديد من الأفلام السينمائية – أشهرها فيلم شاطئ الغرام – كسبته الأغنية العاطفية ولم تكسبه القصيدة المجددة المحلقة التي كان يبدعها ناجي وعلي محمود طه. وفي الإذاعة المصرية عمل صالح جودت عدة سنوات مشرفًا على الأحاديث ومقدمًا للبرامج الشعرية ومكتشفًا للمواهب الجديدة، ومن خلاله عرف الناس شعر شاعر الكرنك أحمد فتحي قبل أن تشدو به أم كلثوم ومن الإذاعة إلى الأهرام صحفيًا وكاتبًا فرئيسًا لتحرير مجلة "الراديو والإذاعة" فرئيسًا لتحرير "المصور" ورئيسًا لتحرير "الهلال" ونائبًا لرئيس مجلس الإدارة بدار الهلال.

ومنذ رحيله في ٢٣ يونيو ١٩٧٦ لم يذكره أحد بكلمة، بعد أن ألف عنه الأديب محمد محمود رضوان كتابه : "شاعر النيل والنخيل".

وبالرغم من وفرة إنتاجه الأدبي وتعدد جوانبه، إلا أن الوجه الشعري لصالح جودت يظل وجهه الأساسي والأصيل، وهو الوجه الذي شمل آخر تجلياته في قصيدة "الثلاثية المقدسة" التي تغنت بها أم كلثوم، والتي كتبها صالح جودت استجابة للفكرة التي ومضت في خاطر المفكر الإسلامي الراحل الدكتور عبد العزيز كامل عندما كان وزيرًا للأوقاف، وحدث حريق المسجد الأقصى، فرغب الدكتور عبد العزيز كامل إلى صديقه الشاعر محمود حسن إسماعيل في كتابة قصيدة تجمع بين الكعبة المشرفة، والحرم

النبوي الشريف، والمسجد الأقصى، وبالرغم من انفعال محمود حسن إسماعيل بالموضوع وتأجج الحس الإسلامي في داخله إلا أنه لم يكن سريع الاستجابة انتظارًا لمواتاة الوحي، وبالرغم من استحثاث أم كلثوم له عدة مرات، ثم بدأ التفكير في صالح جودت الذي تحمس للأمر، وأنجز القصيدة في أيام معدودة بعد أن شجعته أم كلثوم، وكان الغناء بالنسبة لصالح جودت قضية شديدة الأهمية خاصة إذا اجتمع له السنباطي وأم كلثوم، أما محمود حسن إسماعيل فكانت طبيعته تستعصي على طلب الشعر منه، كما أن التلويح بالغناء، حتى لو كان لأم كلثوم. لم يكن ليجعله يغير من عاداته!

يقول صالح جودت في قصيدته "أحلام المنصورة" مسترجعًا ذكريات الأيام البعيدة من الصبا ومطالع الشباب :

آه مما بي، وهل تدرين ما بي
يوم ودعتك .. ودعت شبابي
أين أحلامي على تلك الروابي؟
ذابت الأحلام في قلبي المذاب
لي حبيب فيك أفديه بعمري
سمرة النيل على خديه تغري
هو إلهامي وأحلامي وشعري
ونعيمي بين عينيه وسكري
كان عند الليلة الظلماء بدري

النزعة الحسية الطاغية، والظمأ الشديد لكل ما في الحياة من متع ورغائب، ملمحان لا يفارقان قارئ شعر صالح جودت. إنه ظامئ نهم بالجمال – يلمسه ويشمه ويتحسسه، لا يكتفي برؤيته أو تذوق عطوره، ولا يؤجل لذائذ يومه إلى غده. هذه النزعة الأبيقورية أو الخيامية أو النواسية هي التي تقربه أحيانًا من على محمود طه وتباعد بينه وبين إبراهيم ناجي، فكلاهما : على محمود طه، وصالح جودت حريص على تأكيد فروسيته في مجال العشق، وظفره بمن تشاغل خيالاته وأفكاره، يقول صالح جودت :

أجـــــل، ظمـــــآن يـــــا ليلـــــي
ومـــــاء الحـــــب في نهـــــرك
خـــــذيني في ذراعيـــــك
وضـــــميني إلى صـــــدرك

****

في الثالث والعشرين من يونيو سنة ١٩٧٦ رحل عن عالمنا الشاعر صالح جودت، وهو في الثامنة والستين من العمر وكأنما طويت برحيله صفحته الشعرية والأدبية والحياتية، فلم يعد يذكره أحد، بل إن ذكره أصبح مجلبة للسخرية والتندر.

وقد أصابني بعض هذا حين كتبت عنه في عدد أبريل ٢٠١٣ من مجلة العربي الكويتية بمناسبة صدور الأعمال الشعرية الكاملة لصالح صورت تحقيق ودراسة الأديب محمد رضوان عن مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة فوجدت من يلومني لأني تركت الكتابة عن القمم ونزلت إلى مستوى من هم في السفوح من الشعراء!.

ولقد كان من سوء حظ صالح جودت أن تمتلئ حياته بمعارك من كل لون كان أقساها وأشدها تأثيرًا تلك التي شنها على دعاة الشعر الجديد الشعر الحر واعتبارهم هدامين ومتنكرين للشعر العربي والثقافة العربية، وكان يطلق على أعدائه ممن صنفهم على أنهم يساريون اسم "القرامزة". الذين انسلخوا في رأيه عن الوطنية والدين ولم يقصر هؤلاء بدورهم في الهجوم عليه، واتهامه بالرجعية وسوء الفهم، وافتقاده لحس التطور والإيمان بالجديد. وزاد من ضراوة معركته إحساسه بأنه يعبر عن أفكار العقاد وآرائه التي كان يحكم بها زمام لجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب حين كان مقررها والتحكم في مسيرتها. لكن هجوم العقاد على الشعر الجديد وعلى هؤلاء، كان خاليًا من اللغة العنيفة والاتهامات القاسية التي أطلقها صالح جودت، الذي حول معاركه الأدبية إلى معارك سياسية.

أما مناسبة هذا الكلام الآن، هو ذكرى رحيله، ولأن كتابًا جديدًا عنه قد صدر من تأليف الأديب الباحث الدؤوب محمد رضوان، "في سلسلة كتاب الهلال" الذي هيأته الأقدار لدور شديد الأهمية في حياتنا الأدبية المعاصرة، هو الاهتمام بجمع آثار عدد من الشعراء والأدباء الذين تعرضوا للإهمال والنسيان، وأصبح هذا الاهتمام لديه رسالة حياة، منذ كان كتابه الأول عن عبقرية زكي مبارك الذي أنجزه وهو لا يزال طالبًا في كلية دار العلوم عام ١٩٦٨ وكان هذا الكتاب سببًا في تعرفه على صالح جودت الذي ساعده في نشره بسلسلة كتاب الهلال عام ١٩٧٤ بعنوان "صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك"، وعمل تحت رئاسته في مجلة الهلال في الفترة من عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٦ وساعده على العمل في دار الهلال بعد حصوله على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١.

اختار الأديب محمد رضوان لكتابه الجديد عن صالح جودت عنوانًا لافتًا هو "قيثارة مصر: صالح جودت"، وأقول كتابه الجديد لأن له كتابًا سابقًا عنه نشر بعد وفاته، صدر في أغسطس ١٩٧٧ بعنوان "صالح جودت: شاعر النيل والنخيل" كتب مقدمته الشاعر السفير أحمد عبد المجيد. وقد اتسعت دائرة اهتمام محمد رضوان بغير صالح جودت من الشعراء فكانت كتبه وكتاباته عن أحمد فتحي والهمشري وعبد الحميد الديب وعلي محمود طه وناجي وأحمد خميس وغيرهم. وهي كلها كتابات أهم ما فيها ذلك الحشد الهائل من الوثائق والمعلومات التي توفر عليها وجمعها على مدار سنوات.

كان صالح جودت الذي لا يكاد يذكره الآن أحد واحدًا ممن يملأون الحياة الأدبية، ويشغلون الناس بقلمهم وكتاباتهم ومعاركهم، منذ بزوغ اسمه في عالم الصحافة في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين عندما أصدر ديوانه الأول "ديوان صالح جودت" عام ١٩٣٤، وحتى ديوانه الأخير "الله والنيل والحب" قبل رحيله بعام واحد. وقد كان معه أقطاب التيار الرومانسي في الشعر الذي عرف بتيار جماعة أبوللو من أمثال إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمد عبد المعطي الهمشري ومحمود حسن إسماعيل وأحمد رامي ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي وغيرهم، يهيئون الأرض بنماذجهم

الشعرية المبكرة لمذاق شعري جديد غير مألوف، ولغة شعرية يلتمع في ثناياها معجم شعري يصف المحسوسات بصفات المعنويات، والمعنويات بصفات المحسوسات ويطلق الخيال إلى نجوم شديدة البعد. لغة تتميز بالأناقة بأشعار الرومانسيين الإنجليز والفرنسيين، من أمثال: كيتس وشيلي ووردزورث وبيرون ولامارتين والفرد دي موسيه والفرد دي فيني وغيرهم.

وكان صالح جودت من بين ثلة شعراء أبوللو أقربهم إلى الروح المصرية والمزاج المصري في أسلوب التعبير عن العواطف والمشاعر، واقتناص المفردات المصرية ذات الدلالة المحلية.

في حديث صالح جودت في المقدمة الضافية التي كتبها لديوان صديقه أحمد رامي إشارة إلى هذا الدور الشعري الذي قامت به الحركة الرومانسية، وعن صحبته لناجي وعلي محمود طه والهمشري في سنوات الصبا الباكر، في إشارة إلى التكوينات الأولى والنزعة الشعرية المشتركة، والأفق المغاير الذي كان يتطلع إليه الشعراء الأربعة.

غير أن الحياة الصاخبة الممتلئة التي عاشها صالح جودت التهمت كثيرًا من طاقته الإبداعية ومن تفرغه للشعر، كما التهمت معاركه الأدبية والصحفية والسياسية كثيرًا مما تبقى من هذه الطاقة. وحين جذبه صديقه الأثير أحمد رامي إلى طريق كتابة الأغنية، وبخاصة للعديد من الأفلام السينمائية أشهرها أفلام "شاطئ الغرام" "وألمظ وعبده الحامولي"، كسبته الأغنية العاطفية وخسرته القصيدة المجددة المحلقة التي كان يبدعها ناجي وعلي محمود طه. وفي الإذاعة المصرية عمل صالح جودت عدة سنوات مشرفًا على الأحاديث ومقدمًا للبرامج الشعرية، أشهرها "روائع الشعراء" ومكتشفًا للمواهب الجديدة. ومن خلاله عرف الناس شعر شاعر الكرنك أحمد فتحي قبل أن تشدو به أم كلثوم. ثم أخرج من الإذاعة مع من أبعدوا عنها بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فاتجه إلى صحيفة الأهرام صحفيًا وكاتبًا فرئيسًا لتحرير مجلة الراديو والإذاعة فرئيسًا لتحرير "المصور" ورئيسًا لتحرير "الهلال" فنائبًا لرئيس مجلس الإدارة في دار الهلال.

ولقد أصدر صالح جودت ستة دواوين هي : ديوان صالح جودت (١٩٣٤)، وليالي الهرم (١٩٥٧) وأغنيات على النيل (١٩٦٢) وحكاية قلب (١٩٦٥) وألحان مصرية (١٩٦٨) والله والنيل والحب (١٩٧٥). كما أصدر عدة دراسات أدبية هي بلابل من الشرق، وشاعر الكرنك، وشعراء المجون، وملوك وصعاليك، وناجي : حياته وشعره، والهمشري: حياته وشعره كما أصدر روايتين هما : الشباك وعودي إلى البيت، وعددًا من المجموعات القصصية هي : في فندق الله، ووداعًا أيها الليل، وخائفة من السماء، وبنت أفندينا، وكلنا خطايا، وأولاد الحلال. وعددًا من كتب الرحلات أبرزها: قلم طائر، وأساطير وحواديت لكنها في مجموعها تنتسب إلى عالم الكتابة الصحفية أكثر من انتسابها إلى عالم الإبداع القصصي والروائي.

***

ويبقى الوجه الشعري لصالح جودت هو وجهه الأساسي والأصيل، وهو الوجه الذي عرفه الناس في آخر تجلياته مع قصيدة "الثلاثية المقدسة" التي شدت بها أم كلثوم. فهل يشفع له هذا كله، عند مؤرخي الحياة الأدبية والشعرية ونقادها، حتى يلتفتوا إليه بما يستحقه من تذكر؟ وهل ينصفه الحاضر بعد أن سكنت نيران المعارك التي أشعلها في حياته، وظلت تطارده بعد موته.

فاروق شوشة

(الأهرام – ٢٢ يوليو ٢٠١٤).

صالح جودت القلم الطائر!

بقلم : محمد رضوان

احتل صالح جودت (١٩٠٨ – ١٩٧٦) مكانته الأدبية الرفيعة كأحد أبرز شعراء الوجدان في مدرسة أبوللو الشعرية منذ عام ١٩٣٢، وأصبح هو وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي وأحمد فتحي وأحمد زكي أبو شادي وحسن كامل الصيرفي والهمشري هم أبرز نجوم جماعة أبوللو بمكوناتها وسماتها التجديدية في الشكل والمضمون.

ولما كان الشعر في منطقتنا العربية لا يمكن الشاعر أن يعيش من ريعه إلا بعض الاستثناءات النادرة مثل نزار قباني مثلًا – فما كان من صالح جودت إلا أن امتهن صناعة القلم منذ التحاقه بدار الهلال منذ عام ١٩٥٣ بعد أن ترك عمله بالإذاعة المصرية في نطاق "حركة التطهير" التي لحقت إبراهيم ناجي وغيره من أعلام الأدب والفن بدعوى انتمائهم للنظام الملكي الغارب.

ومنذ مطالع خمسينيات القرن العشرين شارك صالح جودت بكتاباته الصحفية والأدبية في مجلات دار الهلال : المصور وحواء والكواكب والاثنين والدنيا والهلال يتناول فيها مختلف الشئون والموضوعات الأدبية والاجتماعية والفنية والسياسية، وكان أثناء رحلاته الصحفية حول العالم يبعث بانطباعاته ومشاهداته وخواطره لتنشر في هذه المجلات لتشكل في النهاية كتابًا فريدًا في أدب الرحلات صدر تحت عنوان "القلم الطائر" ويعد من أبدع ألوان أدب الرحلات في أدبنا العربي المعاصر.

وبجانب كتاباته الصحفية والأدبية كان صالح جودت ظاهرة فريدة، فكان يشارك في المنتديات والمؤتمرات الأدبية ممثلًا لمصر في العواصم العربية ويلقي فيها قصائده العروبية التي تنادي بالتآلف والتكاتف من أجل مستقبل أفضل للوطن العربي مع حرصه على عدم المساس بوطنه مصر الذي كان يعشقه لدرجة الهيام.

وقد ظل صالح جودت يكتب في مجلات دار الهلال لأكثر من ربع قرن من الزمان في مختلف الشئون والشجون وأثار العديد من المعارك الأدبية والفنية والسياسية الساخنة التي كان ينافح فيها عن آرائه ومعتقداته وأفكاره الأدبية والسياسية والفنية منها أنه كان يؤمن بأصالة الشعر وتمسكه بقواعد الشعر وأصوله، وأنه كان ضد الموجات والتيارات المتطرفة يمينًا وشمالًا، ومنها أنه كان يؤمن بعروبة مصر وأصالتها وحسها العروبي وكان يتصدى لكل من يحاول أن يخدش مصر أو يسئ إليها.

وبالرغم من أن صالح جودت أصدر العديد من الكتب الأدبية النثرية ومنها : أساطير وحواديت – قلم طائر – ملوك وصعاليك – بلابل من الشرق – م.ع. الهمشري – ناجي، حياته وشعره – أحمد فتحي شاعر الكرنك. كما أصدر عدة مجموعات قصصية هي: بنت أفندينا – أولاد الحلال – كلنا خطايا – كلام الناس – في فندق الله، وأصدر روايتين : عودي إلى البيت – وداعًا أيها الليل. كما ترجم عن الإنجليزية رواية "العجوز والبحر" لهمنجواي ورواية "الأفق المفقود" و"سيدتي الجميلة".

وبالرغم من صدور هذه الكتب إلا أنه لم يتسن له أن يجمع مقالاته الكثيرة في كتب قبل رحيله، فكان هذا الكتاب الذي يجمع لأول مرة مقالات الشاعر الأديب صالح جودت، وقد آثرنا أن نختار مجموعة من مقالاته التي نشرها بمجلة الهلال التي شهدت الفترة منذ مطلع ستينيات القرن العشرين حتى رحيله في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ العديد من مقالاته ودراساته ومساجلاته الأدبية، حيث احتجب قلمه في الهلال في الفترة التي كان يسيطر فيها مناوئوه من التيارات اليسارية على رئاسة التحرير فكانوا يحجبون كتاباته وقصائده ولذلك لم تشهد صفحات الهلال منذ خمسينيات القرن العشرين حتى نهاية الستينيات مقالات تذكر لهذا الكاتب الشاعر المجدد.

ولم تفكر جهة ثقافية أو أدبية مسئولة في نشر تراث صالح جودت الشعري والأدبي، ولولا جهودي الذاتية في جمع شعره المعلوم والمجهول ما وصل شعره للقارئ الذي حجب عنه اسمه وتراثه لسنوات طويلة.

وبعد، فليس هذا أول كتاب لي عن صالح جودت وآثاره الأدبية، فقد أصدرت في يوليو ١٩٧٥ أول دراسة عنه قرأها وأبدي رضاه عنها قبل رحيله بعام بعنوان "شاعر ليالي الهرم" كملحق لمجلة الثقافة التي كان يرأسها عبد العزيز الدسوقي، وفي أغسطس ١٩٧٧ أصدرت كتاب "شاعر النيل والنخيل"، وفي عام ٢٠١٢ أصدرت أعماله الشعرية تحت عنوان "صالح جودت شاعر الحب والحرية" حياته وشعره وقصائده المجهولة" وفي مارس ٢٠١٤ صدرت لي دراسة بعنوان" صالح جودت: قيثارة مصر" عن سلسلة كتاب الهلال وذلك وفاء لهذا الشاعر الوجداني المحلق الذي عملت معه إبان رئاسته لمجلة الهلال في الفترة من عام ١٩٧٢ حتى رحيله عن الحياة في يونيه ١٩٧٦ وأفسح لي صفحات المجلة لأنشر فيها رغم أنني كنت مجرد محرر مبتدئ أتلمس سبل النشر، ونشر لي كتابين هما : "صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك" عام ١٩٧٤ ، وكتاب "مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب" في فبراير ١٩٧٦ وذلك في سلسلة كتاب الهلال من منطلق سياسته لتشجيع كل المواهب الشابة في كافة مجالات الأدب، ولذلك أصدر مجلة "الزهور" كملحق لمجلة الهلال في تلك الفترة لتشجيع كل المواهب الأدبية في العالم العربي، كما أن هذا الشاعر كبير قد ظلم ظلما بينا من بعض اليساريين وأنصار الشعر الجديد الذين ناصبوه العداء لأنه كان يشدد على أهمية الحفاظ على أصول الشعر وأصالته وضرورة وجود الموسيقي لأنها ماء الشعر.

ولذلك يصبح هذا الكتاب الجديد الذي يجمع بعض مقالاته ودراساته الأدبية مكملًا لآثاره الشعرية ومؤلفاته الأدبية الأخرى لتشكل جميعها تراث هذا الشاعر الوجداني، الذي عاش حياته كلها قيثارة مصرية وعربية أصيلة.

محمد رضوان

القاهرة – مارس ٢٠١٥.

صالح جودت شاعرًا وجدانيًا

كانت الأغنية المصرية والعربية تفتقر في مطالع القرن العشرين إلى التجديد في الكلمات والمعاني الشعرية الرائعة، فقيض الله للأغنية المصرية مجموعة من أساطين الشعر فأبدعوا لنا أجمل المعاني بأسلوب شعري راق بالفصحى والعامية مما أسهم في تطور الأغنية العربية شكلًا ومضمونًا.

ومن أبرز رواد الشعر الغنائي : إسماعيل صبري وأحمد شوقي وأحمد عبد المجيد وصالح جودت وبيرم التونسي وأمين عزت الهجين وحسين السيد ومأمون الشناوي ومرسي جميل عزيز وغيرهم.

وقد ملأ صالح جودت سماء الأغنية العربية في الوطن العربي بشعره الغنائي العاطفي والقومي المحلق في سماوات الحب والخيال على لهاة عدد من نجوم الغناء والطرب بأغنيات أسعدتنا وأطربتنا وأشجت قلوبنا وأرواحنا أبرزهم: أم كلثوم، محمد عبد الوهاب، فريد الأطرش، محمد فوزي، ليلى مراد، فايزة أحمد، عبد الحليم حافظ، كارم محمود، لور داكاش وغيرهم من أهل الغناء والطرب.

تغنى الموسيقار فريد الأطرش بقصيدة "يا زهرة في خيالي" التي تغنى بها في فيلم "حبيب العمر" الذي عرض لأول مرة على شاشة السينما بالقاهرة في ٢٧ مارس ١٩٤٧، ويقول مطلعها :

يـا زهـرة في خيـالي ... رعيتهـا في فـؤادي
جنـت عليهـا الليـالي ... وأذبلتهـا الأيـادي
وشـاغلتها العيـون ... فـمات سحر الجفـون

كما تغنى فريد الأطرش أيضًا بكلمات أغنية "يا مالكة القلب في إيدك ... ده عيد الدنيا يوم عيدك" في فيلم "لحن الخلود" الذي عرض على شاشة السينما بالقاهرة عام ١٩٥٢.

كما تغنى الموسيقار فريد الأطرش بكلمات صالح جودت: "اسألي الفجر والغروب ... واسألي الشمس والقمر" في فيلم "رسالة غرام" الذي عرض عام ١٩٥٤.

كما تغنى الموسيقار فريد الأطرش بكلمات صالح جودت "يا شمس قلبي وضله، ... يا فرحة عمري كله" في فيلم "حكاية العمر كله" الذي عرض عام ١٩٦٥ وتغنى الموسيقار محمد فوزي بعدة أغنيات من كلمات صالح جودت منها أغنية "استعراض الزهور" أما ليلى مراد فقد تغنت بعدة أغنيات رائعة من كلمات جودت في فيلم "شاطئ الغرام" الذي صور على شواطئ مدينة مرسى مطروح الساحرة عام ١٩٥٠ وعرض في العام نفسه ومنها أغنية "باحب اتنين سوا يا هنايا في حبهم .. الميه والهوا طول عمري جنبهم" وأغنية "يا مسافر وناسي هواك ... رايداك والنبي رايداك" والتي تقول فيها :

"احكي له يا موج مطروح ع القلب اللي بات مجروح ... من فرقة حبيب الروح روح قول له دا قلبي معاك ... رايداك والنبي رايداك".

كما غنت له فايزة أحمد عدة أغنيات وطنية منها "قاهرتي" و"في شارع الأمل" وغنت له سعاد محمد أنشودة "اعلى يا مصر .. كبري يا أم المداين كبري" وذلك بعد انتصارات ٦ أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة.

وغنى الموسيقار محمد عبد الوهاب له عام ١٩٥٠ "أنشودة الفن": الفن مين يعرفه" وغنى قصيدته "أرض النسور".

كما تغنت أم كلثوم بأنشودته "دم الشعب":

قم واسمعها من أعماقي	فأنـــا الـــشعب
ابق فأنت السد الواقي	لمنـــى الـــشعب
ابق فأنت الأمل الباقي	لغـــد الـــشعب

التي كانت بمثابة إشعاع ضوء في لحظة حالكة السواد في تاريخ مصر حين تنحي الزعيم جمال عبدالناصر فكانت هذه الأنشودة بصوت أم كلثوم ليلة ٩ يونيه ١٩٦٧ نداء قويًا للزعيم الخالد للإصرار على استكمال مسيرة النضال والتحرير وصولًا لمعركة العزة والكرامة.

كما تغنت أم كلثوم بقصيدته "الثلاثية المقدسة" التي يقول مطلعها :

رحـــاب الهـــدى يـــا منـــار الـــضياء
ســـمعتك في ســـاعة مـــن صـــفاء
تقـــول أنـــا البيـــت ظـــل الإله
وركـــن الخليـــل، أبـــى الأنبيـــاء

كما تغنى المطرب الأصيل كارم محمود بقصيدته "ما اسمك" التي يقول فيها :

مـــا اســـمك بـــين الأســـامي
يـــافتنتي يـــا غرامـــي
إن قلـــت أو لم تقـــولي
فاســـمك أحـــلى الأســـامي

كما غنى له الفنان عبدالحليم حافظ أغنية "الوي الوي".

وغنت له الفنانة شادية أغنية : "أحبك أحبك واضحي بحبك أعز الحبايب" وغنت له صباح "باخاف من سحر عينيك" وغنت له المطربة لور داكاش عدة قصائد غنائية.

وأحدث من تغنى بقصائده الفنان الكويتي الكبير يوسف المهنا الذي اختار إحدى قصائده العاطفية الرقيقة.

كان صالح جودت شاعرًا وجدانيا، عبر عن وجدانه العاطفي وفي نفس الوقت عبر عن الوجدان الوطني المصري والوجدان العربي والوجدان الإنساني بصدق وأمانة.

عاشق البحر

كان البحر بالنسبة لصالح جودت شركًا للحسان، يرى على شاطئه الجسد العبقري، أو يلتقي على صفحاته بالفاتنات السابحات، وأحيانًا يغوص معهن إلى الأعماق. ولهذا، فقد تكررت قصائده "البحرية" التي يروى فيها "عهود المياه"، ومغامرات الشبيبة الموارة الفوارة بالعواطف المنطلقة.

ومن شعر صالح في هذا المجال قصيدته : "الجسد العبقري" على شاطئ ستانلي، وقد جاء فيها:

عبقـــري أنـــت ، في كـــل نتـــوء وتثنيـــه
عبقـــري أنـــت، أوحيـــت لـــشعري العبقريـــه
لـــست أنـــسى لحظـــة الـــصيف ومـــا جـــرت عليـــه
لحظـــة بـــين غـــواني المـــاء، في الإســـكندريه
إذ تجـــردت وأبقيـــت مـــن الثـــوب بقيـــه
حـــدثت عـــما طوتـــه مـــن ثنايـــا قدســـيه

وحين يتذكر "ليالي الإسكندرية" يمر في باله حديث "البحر" ، و"الكورنيش" ، و"الرمل" ، و"أمسيات الصيف" ، وارتياد السابحات الفاتنات شواطئ المدينة المتوسطية. فيقول:

هـــذه الحـــسناء مـــرت فـــتن الـــصيف عليهـــا
فكـــستها ســـمرة تجتـــذب الـــدنيا إليهـــا
رقـــص المـــوج عـــلى لحـــن الهـــوى، بـــين يـــديها
فأجابـــت وابتـــسامات المنـــى في شـــفتيها
أنـــت أحـــلى مـــن ليـــالي البندقيـــه
يـــا ليـــالي الـــصيف في الإســـكندريه

لقد كان صالح جودت في فجر شبابه الغض يكثر من إبداع مثل هذا الشعر الغزلي الرومانسي المسرح، وكم طارد الحسان على الشواطئ، وحتى في الماء، حتى لم تكن أمواج البحر لتعيقه عن مغامرات هواه، وعن جرأة الفتى الجسور الذي لم ينس عهد المراهقة حتى وهو في سن الشيخوخة رغم تلك الموجة الصوفية التي انتابته في خريف العمر.

ولعل أجرأ قصائده "البحرية"، قصيدة "عهد المياه" التي يقول فيها:

هناك، على الشاطئ اللؤلؤي ... وتحت مظلتك الوارفه
جلسنا نغني نشيد الغرام ... على نغم الموجة العازفه
وتسعى إلينا قلوب المياه ... لتسمع ما تنشد العاطفه
تود المويجات لو داعبتنا ... وفاضت على روحنا الهاتفه
فتلقى مؤامرة في الرمال ... فترتد للبحر كالخائفه
وتشتعل النار في جسدينا ... وتلهبنا الرغبة العاصفه
فنمضي لنطفئها في المياه ... فتهتز فينا اهتزاز الحنين
وتضحك في القلب مجنونة ... بعهد المياه، فهل تذكرين؟

ولا يلبث بعد ذلك أن يعلن في كثير من الجرأة، عن وقائع تلك التجربة، وعما جرى بينه وبين فتاته، وراء صخرة في المياه، ينشدان أنشودة الغزل:

وذوبت قلبي في قطرة ... وذوبت قلبك في أختها
وقابلتا رغبة في الصدور ... فبددتا السحب عن كبتها
وأطلعتاها مجوسية ... تحشرجت النار في صوتها
فرحنا إلى صخرة في المياه ... أجادت يد البحر في نحتها
ولم نبق ساكنة في النوازع ... إلا عدونا على بيتها

وقد تغنى صالح جودت كثيرًا بالإسكندرية التي اعتبرها شاطئ الحب الذي شهدت رماله صبواته وصولاته العاطفية منذ شبابه مع فاتنات الشاطئ اللؤلؤي:

إسكندريةُ، فيك الري والظمأ
بأي قصة حب فيك أبتدئ؟
أقصة الحب طفلا، في ملاعبه
لا همّ أترابه الدنيا ولا عبأوا
أيام كنا نرى الحرمان معصية
ونأخذ اللهو كلاً ليس يُجتزأ
ونجعل الرمل قصرًا، ثم نهدمه
ونركب الموج عرشًا، ثم ننكفئ
ولت طفولتنا كالحلم مسرعة
ودب في إثرها المستقبل اللكئ
جاء الشباب، وكنا في ملاوته
نلهو فنغلو، ونستشري فتجترئ
أما الشباب، فقد فُضت موائده
وما تخلفَ إلا الجوع والظمأ
منازل الوحي في مغناك ما برحت
والملهمون على شطيك ما فتئوا
يا ربة الشعر، يا بلقيس دولته
جودي علينا، فإنا كلنا سبأ
بناك للصيف ذو القرنين مروحة
تشفى بها المهج الحرى وتبترئ
سماء غيرك تزهى إن حوت قمراً
وأنت أرضك بالأقمار تمتلئ
إني رأيت طلوع البدر من "بحري"
فقلت هب لي أماناً أيها الرشأ

الحب والفن

بجانب مقالات صالح جودت الأدبية نقدم في هذا الكتاب مجموعة من المقالات الطريفة "بعنوان" الحب والفن "كشف فيها صالح جودت الستار عن بعض أسرار الوسط الأدبي والفني بأسلوب أدبي جذاب فقدم لنا مجموعة من التجارب العاطفية لبعض الشعراء والأدباء ورجال الفن والغناء في حقبة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين وهي معالجة أدبية قصصية تعكس مدى قدرات صالح جودت الإبداعية في مجال القص الروائي وهو جانب مهم في ملكاته الأدبية.

وبعد، فإن نشر هذا الكتاب الجديد للشاعر الأديب صالح جودت بعد مرور أكثر من ربع قرن على رحيله يعتبر بمثابة تكريم لروح هذا الشاعر الفنان الذي لم يأخذ حقه من الدراسة والتكريم، خاصة أن مؤلفاته الأدبية ودواوينه الشعرية قد نفدت ولم يفكر أحد في إعادة إصدارها من جديد، فليكن هذا الكتاب تحية تقدير لروحه بجمع مجموعة من أحلى مقالات صالح جودت الأدبية وصوره القصصية ليقدم لنا الجانب الآخر من صالح جودت الكاتب والأديب القصصي المبدع.

لماذا يتجاهلونه؟

تساءل البعض عن سر تجاهل الشاعر والأديب الكبير صالح جودت منذ رحيله قبل أكثر من ثلاثين عامًا مضت رغم ما قدمه للحياة الأدبية والصحفية من إنجازات وإبداعات تحسب له كأبرز شعراء مدرسة أبوللو هو ومجايليه أمثال إبراهيم ناجي وعلى محمود طه والهمشري وغيرهم من أقطاب الشعر العاطفي الرومانسي في مصر خلال القرن العشرين.

ويأتي هذا التساؤل الآن بعد تساؤلات سبقته لعدد كبير من الأدباء والنقاد المنصفين الذي دهشوا لإسدال ستارة من النسيان على ذكرى هذ العملاق ومن ضمنهم د. حسن فتح الباب الذي تساءل في مقال له بجريدة "القاهرة" بمناسبة ذكراه الثانية والثلاثين عن هذا الاسم الذي لمع كالشهب في الأوساط الأدبية والصحفية ثم ما لبث أن أدرج وراء أستار النسيان بسبب اختلاف النقاد في الحكم على مواقفه السياسية وأعماله الإبداعية التي رفعته إلى القمة عند بعضهم وهوت به إلى الرغاء عند البعض الآخر من منظور أيديولوجي بحت ثم طالب د. حسن أن ينسي النقاد مواقفه المثيرة للجدل حول عدائه للشيوعيين وأصحاب قصيدة النثر والشعر الحر ولنذكر جانبه الآخر المضيء حيث أمتعنا بقصائده الفصيحة والعامية التي شدا بها كبار المطربين ولنذكر حين نحلل شخصيته قول المسيح عليه السلام "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر" واليوم فنحن نحتفي بذكرى هذا الشاعر الثالثة والثلاثين – توفى في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ – نسترجع بعض إبداعات شاعر الحب والجمال فيثارة مصر الذي تغنى بمجادها وتاريخها ومرابع الحسن فيها.

ميلاد شاعر

ولد صالح جودت في الثاني عشر من ديسمبر سنة ١٩٠٨ رغم ما قيل أنه من مواليد عام ١٩١٢ – لأب مهندس وشاعر هو كمال الدين جودت، وتلقى دراسته الابتدائية بمدرسة مصر الجديدة بالقاهرة، ودراسته الثانوية بمدينة المنصورة حيث تعرف فيها إلى الشعراء الثلاثة : على محمود طه، وإبراهيم ناجي والهمشري حيث كانوا يلتقون عند "صخرة الملتقى" بين النيل والصحراء بالمنصورة وبدءوا يراسلون صحف ومجلات القاهرة حيث نشرت لهم قصائدهم واحتفت بهم.

وكان تأثير المنصورة في صالح جودت كبيرًا حيث قال فيها حين ودعها :

آه مما بي، وهل تدرين ما بي؟

يـــــوم ودعتـــــك ودعـــــت شـــــبابي
أيـــــن أحلامـــــي عـــــلى تلـــــك الـــــروابي
ذابـــــت الأحـــــلام في قلبـــــي المـــــذاب

وعقب تخرجه في كلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣٤ عمل ببنك مصر ثم في الإذاعة المصرية ثم في دار الهلال التي ظل يعمل بها حتى رحيله عن الحياة في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ بعد صراع مرير مع المرض.

معاركه الأدبية

شارك صالح جودت في الكتابة بالصحف والمجلات منذ كان طالبًا وتفرغ للعمل الصحفي منذ التحق بدار الهلال في مطالع الخمسينيات من القرن العشرين حيث شهدت مجلات المصور والكواكب وحواء كتاباته الصحفية وإبداعاته الشعرية والقصصية ناهيك عن مجلة الهلال التي ترأس تحريرها حوالي خمس سنوات (١٩٧١ – ١٩٧٦) أضاف للمجلة الكثير من أفكاره وتجديداته شكلًا وموضوعًا.

وقد تفاوتت كتاباته الصحفية بين الموضوعات الأدبية والفنية والقضايا السياسية والتاريخية، فضلًا عن إبداعاته الشعرية والقصصية والروائية، لكنه منذ مطالع السبعينيات انغمس في غمار القضايا السياسية ومعاركها الساخنة خاصة بعد أن تولى منصب نائب رئيس مجلس الإدارة ورئاسة تحرير مجلة المصور بجانب الهلال، وهي الفترة التي جلبت له عداوات كثيرة أضيفت إلى عداوات سابقة بسبب آرائه الأدبية وفكره الرافض للتطرف يمينًا ويسارًا في الأدب والفن والسياسة، حيث هاجم أنصار اليسار والشيوعية وسماهم "القرامزة" وهاجم أنصار قصيدة النثر والشعر الحر واتهمهم بمحاولة هدم عمود الشعر العربي وأصالته، ودافع عن شوامخ الأدب والفكر خاصة أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كان يعتبره سيد الشعراء القدامى والمحدثين. وكان في موقفه من قصيدة النثر والشعر الحر ينسجم مع موقف العقاد الذي هاجم هذا اللون بضراوة وكان يحوله إلى لجنة النثر أثناء

توليه رئاسة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة الآن) في أواخر الخمسينيات وحتى رحيل العقاد (مارس ١٩٦٤) وكانت حصيلة معارك صالح جودت الصحفية والأدبية المزيد من عداوات اليساريين وأنصار الشعر الحديث، فشنوا عليه حربًا شعواء حيًا وميتًا، وتجاهلوا ذكره بعد أن هيمنوا على العديد من الصحف والمجلات والهيئات الثقافية المختلفة، وشرعوا يمجدون كل من لف لفهم وسار في ركابهم وهو ما يحدث الآن من بعض منظري قصيدة النثر، وما هي بقصيدة، وما هي بشعر بعد أن أصبحت ملاذًا لكل فاقد موهبة شعرية ولكل عاجز عن أن يقيم بيتًا شعريًا صحيحًا وكيف لا وقد استباحوا تحطيم عمود الشعر العربي وكسر قواعده وأصوله.

صالح جودت شاعرًا

ظل صالح جودت طائرًا شعريًا محلقًا منذ مطلع شبابه حتى رحيله عن أربعة وستين عامًا، وغلب على شعره ذلك الجرس الموسيقي الناعم، وصوره الشعرية المبتكرة، وتجسيد أخيلته ومعانيه في صور شعرية مبتكرة راقصة.

وإذا كان جل شعر صالح جودت شعرًا عاطفيًا رومانسيًا، فقد أسهم كثيرًا في مجال الشعر القومي الذي تتجلى فيه مصريته الجارفة، وعروبته وأصالته.

وكان يرى أن سر رقة نغمه هو نبع الحب والجمال :

لولا جمالك ما شف الهوى نغمي ... ولا تعشقت الدنيا أغاريدي
ملأتها من سلاف الروح شعشعة ... فخالها الناس معصور العناقيد

وتتجلى في شعره ذاتيته وأصالته، مثل قصيدته "أرض وسماء" التي نلمس فيها مدى اعتزازه بذاته وفنه وكبريائه أمام تعنت محبوبته، حيث يضع كرامته فوق عاطفته :

نزل الستار على الروايه ... وتبدلت تلك الحكايه

يـــا مـــن جعلـــت الحـــب تـــسلية لقلبـــك أو هوايـــه
إني استـــشرت العمـــر فيـــك فقـــال لي عمـــري "كفايـــه"!
لا تـــــسأليني أن أعـــــود فـــأين أرضـــك مـــن ســـمايه؟

وفي قصيدته "كبرياء" نلمس اعتزازه بنفسه ورجولته أمام طغيان سحر محبوبته ودلالها :

أجـــل أنـــت فاتنـــة .. إنـــما أرى عـــزة الـــنفس لي أفتنـــا
وإن كـــان عنـــدك ســـحر الجـــمال فـــسحر الرجولـــة عنـــدي أنـــا
وأنـــت المنـــى غـــير أني امـــرؤ يـــــذلل للكبريـــــاء المنـــــى
ويكـــره في الحـــب بـــذل الـــدموع ويـــسط الخـــضوع وفـــرط الـــضنى
إذا المـــرء هـــان عـــلى نفـــسه لكـــان عـــلى غـــيره أهونـــا
فـــلا تجعـــلي مـــن غـــرور الأنوثـــة بابـــا يـــسد الهـــوى بيننـــا

ومن أبرز ملامح شخصيته إحساسه القوى بحيوية الفنان وتجدد شباب قلبه ووجدانه رغم عجلات الزمن، فيهمس لمحبوبته الصغيرة أنه دائمًا شاب الروح والقلب والوجدان :

يـــا حلـــوة العـــشرين لا تفزعـــي من همـــسة الخمسين في مسمعي
أنـــا شـــباب ســـرمـــدي المـــدى أنـــا ربيـــع دائـــم المطلـــع
لا يكـــبر الـــشاعر يـــا طفلتـــي فعمـــــره في حـــــسه الطيـــع
لا زلـــت بـــالروح قـــوى الـــسري كدفقـــة النهـــر مـــن المنبـــع
قلبـــي عـــلى العـــشرين قيدتـــه فعمـــر قلبـــي لـــيس يجـــري معـــي

وكان لصالح جودت صبوات عاطفية سجلها في شعره حتى ملأ الدنيا غزلًا وتشبيبًا حتى اضطر أن يبرر لرفيقة عمره "سها" سر غزله وتشبيبه وتنقله بين رياض الهوى وألوان الجمال:

يطالعني وراء السرب سرب ... ولي قلب على الظبيات حدب
أشاهدهن ألوانًا حسانًا ... فلا أدري لأيتهن أصبو
فضامرة بكفي أحتويها ... وفارعة لقامتها أشب
وسمراء لها في القلب وقع ... وشقراء لها في العين وثب
وعاقلة لها فتن رواسي ... وماجنة لها هذر ولعب
يثير جمالهن شجون نفسي ... كأن جمالهن على ذنب

ثم يبرر لها سر ولعه بألوان الحسن وبدائع الجمال :

أنا إن أغر أحلام الصبايا ... بما أغري فليس على عتب
أترجمهن للأيام شعرا ... تضوع بنشره صحف وكتب

ثم يحاول أن يقنع شريكة عمره بفلسفته في الشرك في الحب وأنه ليس في حقيقة الأمر إلا من أكابر الموحدين في حبها :

وقالت لي "سها" أتحب غيري؟ ... فقلت : وحقك لا أحب
تخذتك دونهن هوى مقيما ... له بيت وناصية ودرب
ويعتك عشرتي ووهبتك اسمي ... ولي، مهما ارتحلت، إليك أوب
ولكن الخيال يعز إن لم ... يحرك شجوه بعد وقرب
وهل يرضيك أن أجفو خيالي ... وأشهد لهفتي والنار تخبو؟
وأما الأخريات، فهن كأسي ... من الآلام أشربها وحسب
وهن منابعي في الشعر، لكن ... إليك المنتهى، وهنا المصب!

لقد كان صالح جودت شاعر الحب الطروب اللعوب على - حد تعبير الناقد د. محمد مندور - الذي يملأ الدنيا غزلًا وتشبيبًا ويظل يتنقل من روض إلى روض ومن هوى إلى هوى دون أن يروي ظمأه ويبل غليله.

قيثارة مصر

كان صالح جودت شعلة من الإحساس الجارف في حب مصر والتغني بجمالها والدفاع عن كل حفنة تراب فيها، وهذا ما دفعه إلى الدخول في العديد من المعارك شعرًا ونثرًا للدفاع عن حماها المقدس.

وقد واكب بشعره كل انتصارات مصر وانكساراتها التي عايشها، منذ مطالبته إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وخروج الاحتلال الإنجليزي من مصر :

لا تـــضلوا فإننـــا لا نـــذل ... مرحبًـا بـالخطوب مهـما تجـل
اخرجـوا مـن بلادنـا واتركونـا ... واحملوا جندكم من النيل واجلوا

وأثناء معركة ١٩٥٦ تغنى بانتصار إرادة مصر، وأثناء محنة النكسة كان صوته مدويًا مطالبًا بالصبر والاستعداد وراح يبث روح الأمل في النفوس ويهمس لمحبوبته أن لا وقت للحب:

يـا طفلتـي لا وقـت للحـب ... أمـا دعـا الـداعي إلى الحـرب
لا تـسألي الغيـب الـسلامة لي ... إن الـــشهادة قمـــة الغيـــب
الحـــب يـــوم أرى كرامتنـــا ... مرفوعـــة الهامـــات للـــسحب
الحـب يـوم تطـير فرحتنـا ... فـوق القنـاة وشـطها الرحـب

وعند انتصار مصر في حرب أكتوبر يتغنى بحلاوة النصر وعودة الكرامة لمصر والعرب.

أما موقفه المثير للجدل من الزعيم الخالد جمال عبدالناصر فقد أحبه وجدانيًا ودافع عنه وأشاد به شعرًا حيًا وميتًا، في عدة قصائد لا يتسع المجال لذكرها ومنها في رثائه:

أمـــع الإسراء نادتـــه الـــسماء كـــدت أن أحـــسبه في الأنبيـــاء

وبالرغم من كتاباته الصحفية أثناء الحملة على مراكز القوى في عهد الزعيم جمال عبد الناصر إلا أنه بعد رحيله لم يكتب بيتًا شعريًا واحدًا هجاء في عبد الناصر حتى آخر أيام حياته.

عاشـق القاهـرة

ترجم صالح جودت حبه لمصر بالتغني بجمال ربوعها، وبأمجادها وعراقتها وتاريخها الممتد، فبعد نكسة يونيه ١٩٦٧ بث الأمل في النفوس بالتغني بمصر :

بلادنـــــا حـــــدائق الغـــــزل
نجومنـــــا عـــــلى الـــــسما قبـــــل
وبيتنـــــا في شـــــارع الأمـــــل

كما تغنى بالقاهرة التي كان يعشقها :

يـــا جنتـــي، يـــا كـــوثري، يـــا هبـــة النيـــل الثـــري
يـــا بهجـــة نائمـــة عـــلى بـــساط أخـــضر
يـــا شـــعلة دائمـــة عـــلى طريـــق الأعـــصر
حبيبتـــي، قـــاهرتي، لـــن تغلبـــي، لـــن تقهـــري

ويتغنى في موضع آخر بالقاهرة، فيقول :

لبيك يا أمل العروبة أفديك لا أرجو مثوبة أهواك قاهرتي الحبيبة

كان صالح جودت قيثارة لمصر في كل المحافل العربية والدولية، منافحًا عنها متغنيًا بجمالها وحضارتها وأصالتها.

عاشق مصر

كان صالح جودت يؤمن بأن مصر ستظل دائمًا كنانة الله في أرضه حتى في أقسى المحن التي مرت بها وردد ذلك في الكثير من شعره الذي يؤكد انتمائه لتراب مصر. وله قصيدة رائعة باسم "قرطاجية" ألقاها في مهرجان الشعر بتونس مطلع عام ١٩٧٣ قبيل حرب أكتوبر المجيدة، وكانت لا تزال بعض آثار النكسة بارزة في بعض أرجاء الوطن العربي، وقد جاء في تلك القصيدة الجميلة قوله:

قالت: وكيف النيل؟ قلت لها ... رغم الحوادث لم يزل يجري

مستحملا لجراح عزته ... متذرعا بالحلم والصبر

مترصدا للمحدقين به ... متحفزاً للأخذ بالثأر

ما زالت الأهرام شامخة ... والسد مختالا على النهر

والكرنك المرفوع مؤتلقا ... يجلو دبيب الروح في الصخر

وصلاة إخناتون خاشعة ... غبارة كمؤذن الفجر

وهواية الأمجاد ما برحت ... مهوى قلوب الفتية السمر

الصامدين بحلو نكتتهم ... يروونها في العسر واليسر

ومن العجائب في طبائعهم ... لطف الحمام وعزة النسر

شربوا التفاؤل من تعطشهم ... للنيل في تياره الثوري

يروى أبو الهول الأمين لهم ... ما شامه من حادث الدهر

نقش الفراعين في براثنه ... تعويذة مجهولة السر

مر الغزاة به فما هبطوا ... من سفحه إلا إلى القبر

لم يلـــق مـــنهم فـــاتح ســـكنا ... في أرض مـــصر عـــصية الظهـــر
إلا جنـــــود الله، إذا قـــــدموا ... في موكـــب الإيـــمان والخـــير
يـــسعون والقـــرآن رايـــتهم ... والله نـــاصرهم عـــلى الكفـــر
يمـــشون فيهـــا رحمـــة وهـــدى ... ويبـــاركون الكـــون بالـــذكر
فتحـــت لهـــم مـــصر منازلهـــا ... واســـتقبلتهم رحبـــة الـــصدر
وعنـــت لـــدين الله قانتـــة ... ودنـــت لـــه بالحمـــد والـــشكر
وحنـــت عـــلى عمـــرو مهللـــة ... يـــا بـــارك الـــرحمن في عمـــرو

وكتب الله للشاعر أن يعود إلى وطنه مصر، وشهد ساعة الصفر، وشهد الهجوم العظيم الذي انتهى باجتياح خط "بارليف" ودحر جحافل العدوان الصهيونية الباغية بزعامة أنور السادات العظيم، وشاء الله أن يكون انتقال صالح جودت إلى جواره الكريم بعد ذلك النصر العظيم الذي تنبأ به ، فسعد قلبه وهلل للنصر المجيد لمصر والعرب بعد معركة أكتوبر المجيدة ١٩٧٣ وعبور القوات المصرية لقناة السويس:

عـــاد لنـــا وابتـــسمت ضـــفتاه ... أبـــو الحكايـــات الكبـــار العتـــاه
عـــاد القنـــال الحـــر صـــفواً لنـــا ... الله مـــا أجمـــل عـــود الميـــاه
وعانقـــت ســـيناء أبناءهـــا ... وهلـــل العـــشب وغنـــى الرعـــاه
وارتـــدت الأرض إلى أمهـــا ... والتمعـــت بالبـــسمات الـــشفاه
وانتفـــضت مـــصر فمرحـــى لهـــا ... وانعقـــد النـــصر، فـــوا فرحتـــاه

وقـد تغنـى صـالح جـودت بكـل بقعـة مـن بقـاع مـصر: بـسيناء ، والقـاهرة، والإسكندرية في قصائد غنائية وكأنها تراتيل عاشق متيم يرتل في محراب مصر المحروسة.

في ميزان التاريخ

ويعد، ماذا يبقى من صالح جودت للتاريخ؟

رغم كل غبار المعارك الأدبية والصحفية التي أثارها صالح جودت مع مناوئيه، ورغم كل ما هوجم به، ورغم تجاهل ذكره لأكثر من ثلاثة عقود يبقى لنا صالح جودت الشاعر الوجداني الكبير الذي يحتل مع مجايليه : على محمود طه وناجي والهمشري وحسن كامل الصيرفي مكانة مميزة في الشعر العربي المعاصر، مما دفع القانوني اللامع والشاعر والناقد اللبناني د. فوزي عطوى (١٩٣٩-٢٠٠٨) أن تكون رسالته للماجستير عن "صالح جودت الشاعر والإنسان" التي صدرت في بيروت في أكثر من ستمائة صفحة عام ١٩٨٧.

ويبقى لنا صالح جودت الروائي وكاتب القصة القصيرة مثل "عودي إلى البيت" و"الشباك" و"بنت أفندينا" و"كلنا خطايا" وغيرها. ويبقى لنا صالح جودت كاتب أدب الرحلات مثل "القلم الطائر" و"أساطير وحواديت" ويبقى لنا كاتب التراجم الأدبية مثل مؤلفاته عن "ناجي" و"الهمشري" و"ملوك وصعاليك" و"شعراء المجون" وغيرهم أما معاركه الصحفية السياسية فهي غبار تلاشى بانتهاء الحدث، لكن يبقى إنتاجه وإبداعه الأدبي شاهدًا على مكانته وخلوده وأصالته وقيمته الباقية المتجددة، وإذا كنت قد عرفت صالح جودت شاعرًا وإنسانًا على مدى خمس سنوات (١٩٧١ – ١٩٧٥) أثناء رئاسته للهلال وعملي معه، فقد وجدت فيه إنسانية صافية، وقلبًا كبيرًا يمد يده للمواهب ويقف بجانب الآخرين حتى لو خالفوه الرأي (راجع مقال د. حسن فتح الباب الذي ذكر فيه بعض جوانب إنسانيته وشهامته معه رغم اختلاف التوجهات) ويكفي أنه أتاح لي أن أصدر كتابين في سلسلة كتاب الهلال وأنا ما زلت في مقتبل حياتي الأدبية والصحفية وهما: "صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك" (١٩٧٤) ومأساة شاعر البؤس

"عبد الحميد الديب" (١٩٧٦) وكنت واحدًا ضمن من شملهم برعايته وتشجيعه وشهامته. كان رجلًا من عصر الكبار في ذلك الزمن الجميل، لقد تقلبت في عدة مراحل وعاصرت عددًا من الكبار والصغار، ولكن دائمًا يبقى في الذاكرة صاحب الموهبة الأصيلة، والقيمة الكبرى الذي تبقى أعماله الإبداعية شاهدًا على صالح جودت الأديب والناقد والشاعر والإنسان الكبير الخالد واليوم، ونحن نقدم في هذه الصفحات بعض مقلاته وذكرياته وخواطره الذاتية والأدبية، فإنما تقدم جزءا مهما من تراثه الأدبي، ويبقي أن تتكفل إحدى الجهات الثقافية بجمع ونشر بقية تراثه الأدبي المتناثر هنا وهناك على صفحات المجلات والصحف القديمة وإعادة طبع كتبه العديدة، ونستطيع أن نقول يومئذ أننا أنصفنا صالح جورت كما طالب بذلك الشاعر المبدع الكبير والإعلامي المتميز فاروق شوشة، من منطلق إحساسه أننا ظلمنا هذا الشاعر الكبير الذي آن الأوان لإنصافه، وبذلك نكون قد بدأنا نرد الاعتبار بالفعل لتاريخنا الأدبي المعاصر بكل ملامحه وأبعاده ورموزه.